من تراب الطريق! (٢٠٩)

جوار غريب (*)

لا يركب الراكب سيارة أو قطاراً فى بَر مصر، إلاّ ويلفته خليط عجيب، حاضر أحيانا فى تجاور وربما فى التصاق، بين فرط الترف وفرط الفاقة .. بين جمال وأناقة الجزيرة والمَنْزل فى الدقى القديم ما يكاد يكون مرمى حجر، وبين عشش الترجمان (سابقا) وقلب القاهرة ما يحسب بالأمتار، فإن قيض لك أن تنظر من نافذة القطار القادم من صعيد مصر، على مشارف الجيزة، رأيت على الجانبين علامات الفاقة والقذارة والعشوائية، فإذا رفعت نظرك قليلاً رأيت على الجانب الآخر من النيل العمارات الشاهقة والمبانى والقصور الأنيقة، يكفيك أن تمر بمنيل شيحة لتجد القصور المنيفة إلى جوار العشش والمبانى الطينية، وفى تجاور مدهش نجد العشوائيات تكاد تلاصق فى كل مكان معالم الترف والتنعم !

ترى ماذا يكون شعور المعدم وهو يخرج من العشوائيات، أو من مساكن القبور، حين يجد نفسه مطلاً بعد أمتار قليلة على مظاهر الثراء والترف يتنعم فيها المتنعمون !

فى تجاور مدهش تجد الفاقة تكشف عن وجهها على الأرصفة، وفى ظاهر وبطن العشوائيات، وفى مشارف أحياء بكاملها مبنية بالطين .. شتان بين المركبات والكارّو وما شابه على كوبرى إمبابة، وبين السيارات

(*) المال ٢٠٠٩/٢/١٢

الجارية على مرمى البصر على كبارى الزمالك وأكتوبر والجلاء وقصر النيل !

حتى التسكع فى الطرقات، وهو داء وبيل يأخذ معظم المصريين من مراكز العمل والإنتاج، إلى الأرصفة وأنهار الطرق والميادين، تتجاور فيه أحدث الأزياء الغربية، مع الملاية اللف والجلباب، مثلما يتجاور كسل القادر المكتفى بثرائه، مع تنبلة الفقير القانع بفقره ! .. ترى هل يمكن لهذه المعادلة الغريبة أن تستمر فى سلام، وأن يمضى تجاور فرط الترف وفرط الفاقة بلا أخطار أو محاذير ؟! تورى الفطنة بأن فرط الفاقة بدأ يسلس إلى الجوع، والجوع كافر فيما يقول المتبصرون .. إن مشاهد الترف مرئية فى كل مكان لضحايا الفقر والإملاق، والأدهش من هذا أننا درجنا على ألاّ نعرض فى مرئيات التلفاز الأرضى والفضائى، وهى تُعرض فى المقاهى، إلاّ مشاهد الثراء المستفز، وبذخ الأفراح الأكثر استفزازاً .. يرقبها المعدم بعين جوعه وحاجته وإملاقه، ولا يجد أمامه إلاّ اجترار الحقد ! .. ففرص العمل تكاد تكون معدومة، والبطالة مستشرية، ومع ذلك لا تستطيع أن تفسر عدد السيارات الهائل الذى يجرى ليل نهار فى شوارع القاهرة والإسكندرية وعواصم المحافظات .. من أين وإلى أين؟ لا أحد يدرى أو يفهم !! .. بات تسكع السيارات ينافس تسكع المارّة، وسادت ثقافة البطالة والراحة وتوارت ثقافة العمل والإنتاج، وانكفأ كلٌ على ذاته، الثرى هانئ بثرائه وترفه وتنعمه، والفقير مغلوب بفاقته وإملاقه، وبين هذا وذاك تتنامى تلال من التراكمات النفسية مع الأيام لا يدرك أحد محاذير تناميها ولا مخاطر انفجاراتها إذا تركت على حالها!!

لا يمكن لفرط الترف أن يأمن على نفسه وعلى المترفين، ما لم يقدم إلى فرط الفاقة مشروعات وفرص عمل تعوض مرارة وذل الفقر والحاجة، وتصرف بالعمل وشواغله عن تصاعد تعاسة سوف تأتى - إذا انفجرت - على الأخضر واليابس فى بلادنا !!